تعيشان في مدينة جرادو التي يقسمها نهر وارسو الى قسمين، يمثل كل منهما عالما مختلفاً عن الآخر. جرادو القديمة، حيث تعيش البطلتان، تمثل الغيتو المعزول الذي تنساب تيارات الحياة فيه بطيئة وكئيبة وخالية من المتع والطموح والمباهج؛ وجرادو الجديدة مقر سكن النبلاء البولنديين، حيث تتميز الحياة بايقاع يردد اصداء الاغاني والموسيقى والمباهج العصرية.

وتتضح من هذا التقسيم الجغرافي للمدينة رؤية فريشمان للعالم اليهودي المجاور للعالم الواسع. عالمان متجاوران ولكنهما منفصلان. وعبور النهر صوب العالم الواسع يعني، بالنسبة الى العابر، الانفصال التام عن عالمه القديم؛ وفوق ذلك، فانه يعني انه قد ارتكب الخطيئة الكبرى التي يستحق عليها فقد حياته.

وما يحدث لاستير الصغيرة في القصة يبدو وكأنه حدث متكرر في حياة فتيات الغيتو وصبيانه. ذلك ان الفتاة تعبر القنطرة الفاصلة الى المدينة الجديدة في احد الايام، لتبيع بعض السلع التي تصنعها أمها في فندق موسى حيث كان النبلاء البولنديون يتجمعون للشرب. وهناك ينفتح لها عالم جديد. عالم من الغناء والموسيقى. وبالتدريج، راحت الفتاة، وهي التي تضم بين جوانحها موهبة غنائية وموسيقية، تنجذب الى الحياة الجديدة، حتى جاء يوم اختفت فيه من منزل امها، اختفاء بلا عودة. وامضت الام اياماً عديدة تبحث عن ابنتها، حتى فقدت الامل في العثور عليها واستسلمت لاحزانها.

اما الفتاة، فقد التحقت بدير الراهبات المسيحيات الذي قادها الى مدرسة للموسيقى. ومن هناك صعدت الى خشبة المسرح، حيث سحرت عشاق غنائها من البولنديين.

ومضت سنوات، تشاغلت الفتاة خلالها بالغناء والاعجاب عن حنينها لامها وعالمها القديم. حتى يجيء اليوم الذي ترى فيه الام ابنتها تغني، منتهكة حرمة اقدس ايام العالم، ويغلب على الام تدينها وتمر بها لحظة احتضان عميق لمسؤوليتها كيهودية تقية تكتنفها نوبة سخط هائلة على ابنتها التي تسعد البولنديين بغنائها، وهم الذين قتل احدهم اباها من قبل. وفي لحظة انتصار الموروث الديني، تستل الام سكيناً وتذبح ابنتها لتنقضي اللحظة كلمح البصر وتأتي اللحظة التالية المشحونة بعواطف الامومة التي تزلزل نفس الأم وتحملها الى عالم الخبل وفقد العقل، لتمثل المأساة الناجمة عن صراع النفس اليهودية بين موروثاتها الجامدة وعواطفها الطبيعية واضحة تجاه القارىء.

«صلاة الموتى»: تقدم القضية الثانية نفس خطوط الصراع في القصة السابقة، من خلال تفاصيل مختلفة. فهي قصة فتاة يهودية اخرى تهجر الغيتو تاركة اباها الارمل وهاربة الى العالم الواسع لتتزوج «كونت» يملك المدينة التي تقيم فيها وانعقد بينه وبينها رباط المحبة خلال زياراته لابيها المرابي ليقترض منه ما يلزمه من مال.

ويبدو ان شخصية الارملة والارمل في القصة السابقة وقصتنا هذه ترمز عند فريشمان الى شيء ما؛ عله يكون التشديد على معنى العزلة والكآبة التي يعاني منها ساكن الغيتو اليهودي المتزوج من شرائعه وحدها، بعيداً من كل المباهج.

تهجر الفتاة الغيتو، اذاً، ليس سعياً وراء الموسيقى والغناء ولكن سعياً وراء جوهر الحياة الانسانية، وهو العشق والمحبة. ورغم اعزاز الاب لابنته واستعداده للتضحية بكل ذهبه وماله من اجل سعادتها، الا ان تدينه يغلب عليه عندما تعود اليه طالبة الصفح ومباركته لزواجها. يطرد الاب ابنته الوحيدة العزيزة ايثاراً للشرائع وقوانينها الصارمة التي تحرم الزواج المختلط. ولكي يدفن